



قضية الشكل في الأدب الإسلامي (قضية النشر نهوذجاً)

ينبغي أن نعتد أن
قضية الشكل الأدبي
في الأدب الإسلامي،
لم تأخذ حظها اللائق
من العناية والحوار
والتعليق، مع أنها تمثل
محوراً أساسياً في البناء
الأدبي. ويبدو أن التركيز
على قضية المضمون
استفاد كثيراً من الجهود
التنظيرية والتأصيلية
للأدب الإسلامي.

«خصوصية الشكل في الأدب الإسلامي»

في كتاب «منهج الفن الإسلامي» لمحمد قطب إشارة مقتضبة إلى قضية الشكل، يدعو فيها إلى اكتساب الخبرة الفنية التي تخدم أصالتها ولا تخدم التقليد، كما يدعو إلى الاقتداء بالأدباء الروس الذين استمدوا «التكنيك» من غرب أوربة في قصصهم ورواياتهم، فأبدعوا أدباً أصيلاً ذا طابع مميز^(١).

ويشير نجيب الكيلاني في صفحات قليلة من كتابه الإسلامية والمذاهب الأدبية: إلى أن الشكل الفني فيه مجال للنمو والإضافة

وإذا طالعنا بعض الدراسات التي انشغلت بفكرة الإسلامية في الأدب فسئرها تعطي قضية الشكل هامشاً محدوداً ومختصراً لا يتكافأ مع أهميتها ومركزيتها، فمن خلالها تتكشف فنية الأدب الإسلامي أو صورته الجمالية التي تؤثر في المتلقي.

وأتصور أن الاهتمام بقضية الشكل يرد على كثير من التساؤلات - أو كل الاتهامات - التي ترى أو تظن أن الأدب الإسلامي، أدب مضمون ولا علاقة له بالإنجاز الفني أو الإبداع الأدبي، وهو ظن غير صحيح في حقيقة الأمر.



د. حلمي القاعود - مصر

ولا ريب في أن قضية الشكل في الأدب بعامه، والإسلامي بخاصة تمثل مرتكزا رئيسا في مخاطبة القارئ والجمهور، وأدب لا يصنع خصائص فنية متميزة، لا يدخل في دائرة الأدب الحقيقي، لأنه عندئذ يشبه الكلام العادي أو لغة الحديث اليومية، تجري كيفما اتفق، غايتها في كل الأحوال التعبير عن فكرة أو معنى. أما الفن.. أما الأدب فيعبر عن الفكرة أو المعنى من خلال نسق أو إطار ذي ملامح ومعالج وخصائص تميزه عن الكلام العادي أو لغة الحديث اليومية.

على أشكال مغايرة للأشكال الأدبية المعروفة، مثل العبت واللامعقول والرمزية والسيرالية، فضلا عن انحراف مضمونها الأدبي، ومخالفته للتصور الإسلامي، وقياسا على ذلك فإن الأدب الإسلامي يرفض البرناسية، والفن للفن على أساس أن الشكل الفارغ من المنفعة والغاية الإنسانية لا قيمة له، وإذا عرفنا أن بعض هذه المذاهب يعتمد لغة الرؤى والأحلام وهذيان المحمومين دون ضابط أو رابط، فإن رفضها هو الرد الطبيعي في المجال الأدبي الإسلامي.

والتجديد، فالأديب المسلم يختار الشكل الذي يروق له. يختار الوعاء الذي يصب فيه فكره ووجدانه ومشاعره، يختار الإطار الذي يتواءم مع ريشته المبدعة، ولا نترقب منه سوى صدى عمله الفني في النفس، إلى أية جهة رفعها وأية مشاعر أثارها؟^(٢)

ثم يعرض بإيجاز شديد في آخر كتابه إلى المذاهب الأدبية الراهنة وأبرز مرتكزاتها ليوأجلها الأديب المسلم وينتقي العناصر الصالحة، ويترك العناصر السلبية.

ولعل الذي اهتم بالشكل بصورة موسعة نسبيا «أحمد محمد علي» (الشهير بعبد زائد) في كتابه «الأدب الإسلامي ضرورة»، حيث تناول ما يمكن تسميته بخصوصية الشكل في الأدب الإسلامي، وهذه الخصوصية ترفض مثلا سجع الكهان، والملحمة حين تحتذي الملحمة اليونانية القائمة على تعدد الآلهة وصراعاتها. ثم يخلص إلى أنه يمكن تقبل الشكل الأدبي إذا لم يكن له ارتباط حتمي بأصوله الفلسفية والفكرية المرفوضة إسلاميا^(٣).

وقد استعرض د. عبد الباسط بدر المذاهب الأدبية الحديثة، وقدم لها رؤية إسلامية تفرز عناصرها المفيدة، وعناصرها المناقضة للتصور الإسلامي^(٤).

وأكد المبدأ السابع لرابطة الأدب الإسلامي رفض المذاهب الأدبية المنحرفة، ومعظمها يقوم

■ الأديب الإسلامي صاحب رسالة وهو حر في اختيار الشكل الفني الذي يناسب رسالته دون قيد أو شرط.



د. عبد الباسط بدر



عبد زائد



وتقوم الأجناس أو الأنواع الأدبية على أسس فنية تجعل كل جنس أو نوع يختلف عن الآخر ويتميز.

« قضية موسيقى الشعر »

لقد ظل الشعر فن العربية الأول، تأتي بعده فنون أخرى عرفها العرب قديما وحديثا مثل الخطبة والحكمة والمثل، والتوقيع والرسالة والمقامة، والحكاية، والمقالة، والقصة القصيرة، والرواية والخاطرة، والحوار الأدبي والفكري، والتحقيق الصحفي، والترجمة والسيرة الذاتية.. كل فن أو جنس أو نوع من هذه الأنواع يقوم على خصائص متميزة، ويتفاضل الشعراء والكتاب بمقدار موهبتهم وخبرتهم في معالجة هذا النوع أو ذاك، ومقدار تأثيرهم في النفوس والقلوب..

وإذا كان هناك قصور أو ضعف في النص الأدبي، فالأمر لا يعود إلى النوع الأدبي بقدر ما يعود إلى صاحب النص، والدليل على ذلك أوضح من الشمس، فالشعر العربي مثلا، ظل منذ الجاهلية حتى اليوم يقوم على أساس الموسيقى والصياغة وزنا وقافية، وإيقاعا داخليا، وتصويرا حيا للعواطف والمشاعر والحوادث، وتركيبا فنيا يطوع اللغة لبناء شعري متميز. لا يقدح في هذا الأساس ضعف الشعراء في هذه البيئة أو تلك، أو هذا العصر أو ذاك.

إن ضعف الشعراء ليس دليلا

على ضعف الأساس المنظم لهذا النوع الأدبي، بدليل أن المهووبين مع تتابع العصور استطاعوا أن يقدموا الجديد المبهر من خلال الخصائص المعروفة والمميزة للشعر.

بعد الحرب العالمية الثانية، ومع تتابع الهزائم العربية، وانفجار حركات التمرد على الدين والمجتمع والسياسة، ظهر ما يسمى بالشعر الحر تعبيرا عن رفض النموذج السائد في الشعر العربي، واتهاما له بالقصور عن متابعة الواقع ومستجداته ومتطلباته ولغته، واستبدال السطر الشعري بالبيت المعروف، وتجاهل كثير من الشعراء القافية في الشعر الجديد، ومع الإلحاح الدعائي عبر الوسائط المقروءة والمسموعة، صار هذا الشعر سائدا في الحياة الأدبية، ودخل إلى ساحته شعراء من مختلف الأعمار والتوجهات.

وإذا عرفنا أن موجة الشعر الحر : ارتبطت بصراع فكري عنيف، في المشرق العربي على وجه الخصوص، فقد انتهت إلى قبوله لدى الفرقاء المعنيين سواء كانوا من المتمسكين بالهوية العربية الإسلامية، أو المبهورين بالنموذج الغربي، أو غيرهم، ورأى الفريق الأول أو قسم كبير منه، أنه لا مانع من الاستفادة من الأشكال الجديدة في التعبير أو الصياغة، بل ذهب بعضهم - وخاصة في المغرب العربي - أن استثمار المناهج التشكيلية الحديثة يغيظ الخصوم

من العلمانيين وأهل اليسار^(٥). لقد انتهت موجة الشعر الحر إلى ما انتهى إليه شعر الشطرين الموروثة من اتهامات، فقد اتهمه المتمردون الجدد بالتكرار والتقليدية والبقاء في الدائرة القديمة التي تجعله غير صالح لاستيعاب الشعرية المعاصرة! لأنه - في منظورهم يعتمد على « التفعيلة » أو وحدة الموسيقى في شعر الشطرين.

والمتمردون الجدد خرجوا على الشعر الحر بما يسمى : قصيدة النثر « التي تحدثوا عنها أحاديث متنوعة، ولكنها للأسف لم تضع مرجعية فنية أو نقدية يقاس عليها غير « شعرية النثر » أو « نثر الشعرية »، ثم تبارى بعض النقاد في محاولات غير موفقة لتأصيلها والتقنين لها، ولكنها حتى الآن لم تجد جمهورا يعتد به، ولم تصنع ذائقة يمكن أن تسيغها..

لقد استطاع الشعر الحر أن يمثل حضورا فنيا في مجال المسرح بحكم اعتماده على السطر الشعري، وتخففه من عبء القافية، ولكنه في كل الأحوال يقدم للجمهور موسيقى ترقى بذوقه ومشاعره، ولكن أين هي الموسيقى في قصيدة النثر ؟

« معضلة قصيدة النثر »

في أوائل القرن العشرين ظهرت موجة تسمى « الشعر المنثور » ترفض الوزن، ولا ترفض السجع

وألسلس ذوق، وأفصح بيان». ثم يقول :«...فمن قال : الشعر المنثور، فاعلم أن معناه عجز الكاتب عن الشعر من ناحية، وادعائه من ناحية أخرى»^(٨).

وفي كل الأحوال علينا أن نذكر أن ظهور «الشعر المنثور» في لبنان، كان نتيجة لاحتكاك الكتاب اللبنانيين بالكتاب الغربيين وخاصة الإنجليز فيما يسمونه الشعر «الأبيض»، وهو شعر غير مقفى، وغير مقيد بالأوزان.

وفي العقود القليلة الماضية، تأثر بعض شعراء السبعينيات في

وبخاصة في كتبه المشهورة : أوراق الورد، والسحاب الأحمر، ورسائل الأحزان، والمساكين، وبعض مقالات وحي القلم، ومع ذلك فقد رفض تسمية ما كتبه بالشعر المنثور، وعد هذه التسمية دليلاً على جهل واضعيها، وقال : « فليس يضيق النثر بالمعاني الشعرية، ولا هو قد خلا منها في تاريخ الأدب، ولكن سر هذه التسمية أن الشعر العربي صناعة موسيقية دقيقة، ويظهر فيها الإخلال لأوهى علة، ولأيسر سبب، ولا يوفق إلى سبك المعاني فيها إلا من أمده الله بأصلح طبع،

الذي يأتي عفواً، وهذا الشعر المنثور كان يزخر بتيار من العاطفة الدافقة، والكلمات الرقيقة والصور العذبة والخيال المجنح^(٩) وكان من أبرز فرسان هذا اللون مجموعة من اللبنانيين أبرزهم أمين الريحاني، وجبران خليل جبران، ومارون عبود . ومن كلام جبران في هذا النوع الذي غص بكثير من الاستعارات والكنايات والمجازات والخيال، قوله يناجي الليل :

« يا ليل العشاق والشعراء والمنشدين،

يا ليل الأشباح والأرواح والأخيلة، يا ليل الشوق والصبابة والتذكار،

أيها الجبار الواقف بين أقزام المغرب وعرائس الفجر، المتقلد سيف الرهبة، المتوج بالقمر، المتشح بثوب السكوت، الناظر بألف عين إلى أعماق الحياة، المصغي بألف أذن إلى أنة الموت والعدم.

في ظلالك تدب عواطف الشعراء، وعلى منكبيك تستفيق قلوب الأنبياء، وبين ثايا ضفائرك ترتعش قرائح المفكرين.

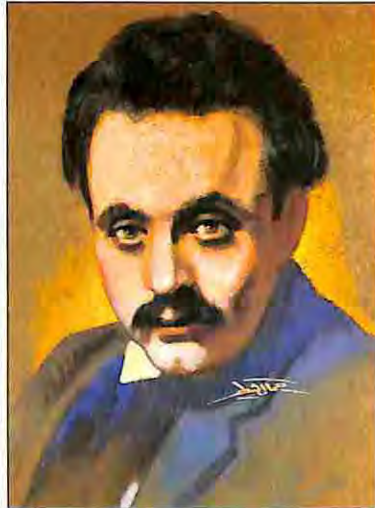
أنا مثلك يا ليل، أنا ليل مسترسل منبسط هادئ مضطرب، وليس لظلمتي بدء، ولا لأعماقي نهاية»^(٧).

وفي مصر كتب هذا اللون مجموعة من الكتاب برعوا فيه مثل المنفلوطي والرافعي والزيات وطله حسين ومي زيادة وحسين عفيف. وكان الرافعي من أعظم من كتبوا هذا اللون على الإطلاق،

■ الأديب الإسلامي يرفض المذاهب الأدبية المنحرفة التي لا ترتقي بحياة الإنسان وذوقه وتفكيره.



المنفلوطي



جبران خليل جبران



مصر والعالم العربي بقصيدة النثر في أوربية عن طريق الترجمة، وقد اهتموا بكتاب «سوزانا برنار» الذي سمته قصيدة النثر، وترجموه إلى العربية في أكثر من ترجمة.

وإذا كانت قصيدة النثر في الغرب مقبولة لأسباب ثقافية وبيئية، ووجدت من ينظر لها ويقعد، فإنها في البلاد العربية مست عناصر مهمة في تشكيل الهوية العربية الإسلامية، وأوحت بفكرة خطيرة حول «القرآن الكريم» تسمح بالقول عنه: إنه شعر! وما هو بقول شاعر قديماً ما يؤمنون^(٩).

إن فن العربية الأول يقوم على عنصر الموسيقى (خارجية وداخلية) وإذا انتفى هذا العنصر صار نثراً، ولا عبارة بالقول: إن عناصر الشعرية الأخرى تغني عن عنصر الموسيقى، وقبل قليل رأينا الراجعي يصف الشعر العربي بأنه «صناعة موسيقية دقيقة» فإذا انتفت هذه الصناعة فلا مجال للحديث عن الشعر المنثور أو النثر الشعري أو قصيدة النثر، والمصطلح الأخير (قصيدة النثر) يحمل تناقضاً واضحاً لا يحتاج إلى شرح، ومع ذلك فتحن القراء نحتاج إلى وقفة - ولو قصيرة - مع الحجج والأسباب التي يسوقها من يروجون لقصيدة النثر بديلاً عن الشعر الموزون أو الشعر القائم على الموسيقى.

«الرأي الآخر»

يرى أحد الكتاب أن قصيدة النثر هي فضاء الشعر الحقيقي، لأنها

فضاء حرية لا نهائي، والحرية شرط للإبداع، والإبداع فعل خلق، ولا يمكن أن يتم خلق حقيقي بدون حرية الفعل الكاملة^(١٠).

ويرى آخر أن شعرية القصيدة ليست مقصورة على زينتها فقط، كما كان يقال قديماً. شعرية الشعر، كما يعتقد، تتبع من عناصر عديدة إذا توافرت بالنص توازراً إبداعياً يمكن للنص أن يكون شعراً جميلاً حتى وإن خلا من الوزن الخليلي. ثم يضيف أن الموسيقى غير الوزن الخليلي، فهي أشمل وأرحب من الوزن الخليلي، وتتحصل من الفراغ بين الفقرات طاقة الصورة من مرحلة إلى مرحلة، علاقة الحروف ببعضها البعض، علاقات البنيان الشعري ببعضها البعض، التناغم والتناغم في مفاصل القصيدة، العلاقة بين أشكال فنية شعرية قديمة وحديثة. ويتحدث عن تحقيق الشعرية من خلال حرية المبدع في اجتياز كل الحدود، واختراق كل الأسوار والحجب، وكسر كل معتاد ثبوتي، من أجل أفق متنوعة للشعر، وأشكال خصبة ثرية منه، تبعد عن حديدية الشكل الواحد الوحيد^(١١).

ويتكلم ثالث عن مرجعية قصيدة النثر، فيطرح مقولة: إن القصيدة قانون نفسها، وإنها تخلق قانونها الموسيقي الخاص والنابع من حركتها الداخلية وضراوتها (٥) البنائية^(١٢).

ويرى رابع أن المستقبل لقصيدة النثر لأنها سوف تكشف عورات ما هو آت لتدمير الفاسد وفضحه، وأنها منذ الخمسينيات مع أنسي

الحاج وأدونيس وتوفيق صايغ، كانت على الهامش، وأنها سوف تكون من المتن لأن أفق الحرية بها أرحب، مع اللغة للتفنيش، والبلاغة للتدمير، ومع الرؤيا لاقتناص شكلها^(١٣).

وبعد عشر سنوات من الكلام السابق يعيد أحدهم إنتاجه ويلخصه في الفقرة التالية :

«... قصيدة النثر هي الحل

النهائي لخروج الشعر العربي من أزمتته خروجاً تاماً. بل لا أكاد أكون مغالياً إذا قلت: إن قصيدة النثر هي نوع من زلزلة البنيان الراسخ الذي تجاوز أكثر من ألف عام في الكتابة المجانية. قصيدة النثر هي نوع من التدمير، وهدم وإبادة ذلك البناء الشعري الهش، الذي احتفى بالثرثرة الفارغة أكثر مما احتفى بالشعري، ولم يكن الشعر العربي صادقاً في يوم من الأيام بمثل ما هو الآن، وأستطيع القول: إن النص الديني كان عاملاً حاسماً في ثبات واستقرار الأذن العربية عند هذه الحدود الدنيا من الكتابة. النص الديني حاول باستمرار أن يرسخ مستوى واحداً من النغمة. لقد تحولت ثقافة الأمة إلى ثقافة سمعية مع إهمال بغض ومتعمد لكافة الحواس الأخرى، لذلك فإن الأذن العربية عليها أن تقطع شوطاً طويلاً كي تقف مع شعرية النثر ضد نثرية الشعر! نعم إنها تبدو كشبح غامض في مواجهة الماضي، المعبأ بالمنجز، والجاهز بكافة أسلحته التراثية ومقولاته التقدمية التي لا

الشعر العربي في مستقبله على يد «قصيدة النثر»، وفهمنا أنها ليست حلاً نهائياً لأزمته بقدر ما هي أساس في صنع أزمة كبيرة للأدب واللغة والذوق العام. إذا اعترفنا أن نصوصاً شعرية في الشعر ذي الشطرين وشعر التفعيلة تمثل نثرية جافة، وثرثرة عقيمة، فإن معالجتها لا تكون بالغاء هذا النوع أو ذاك، ولكن المعالجة تأتي من خلال الشاعر الموهوب المثقف الذي يحمل رؤية ناضجة وسليمة. أما الهدم والكسر والإبادة

عن طريق قصيدة النثر، فالمسألة لن تزيد الطين إلا بلة. لقد جاء المتنبّي بعد أربعة قرون من امرئ القيس تقريباً، ونظم على البحور التي نظم عليها، ولكن موهبته وخبرته وقدرته الاحترافية جعلته يعيد للشعر بهاءً وجماله وجلاله، ويعبر عن عصره وواقعه، والأمر كذلك بالنسبة للبارودي وشوقي ومحمود حسن إسماعيل، على تفاوت أيامهم وظروفهم، كل منهم أعطى للشعر وجوداً فريداً ومتميزاً وياهاً لسبب بسيط : أنه شاعر حقيقي.

يريد أن يتنازل عنها أو يتزحزح بعيداً عن مداراتها. إن هذه المدارات هي آخر خنادق البقاء التي يتمترس فيها النص القديم وحتى النص التفعيلي في نفس الوقت. إن الشعرية العربية وهي تترك قيمة القصيدة العربية وعمودها الراسخ تصنع شيئاً مختلفاً في هذه الذاكرة، فليس أمام الذاكرة العربية - والعقل العربي بالفعل - إلا أن يتغير - إنها نوع من خلخلة اليقين والراسخ والثابت»^(١٥). إن أهم مسوغات وجود قصيدة النثر - كما يرى أنصارها - يمكن تلخيصها فيما يلي:

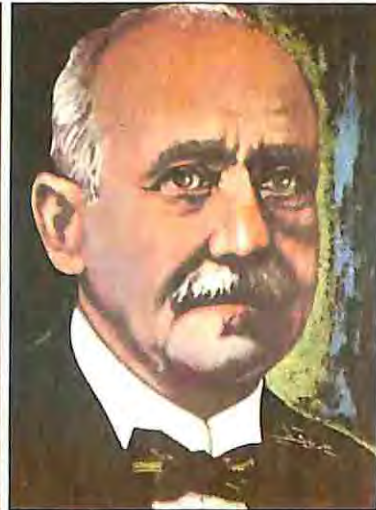
- أ- الحل النهائي لما يسمى أزمة الشعر العربي.
- ب- هي هدم وكسر للثوابت وإبادة البناء الشعري الهش.
- ج- النص الديني سبب كارثة الشعر العربي : لأنه صانع الثقافة السمعية.
- د- قصيدة النثر تصنع قانونها ونظامها وشكلها.
- هـ- شعرية النثر ضد نثرية الشعر.

مشكلة أنصار قصيدة النثر أنهم يتناسون أن معظم نماذجها المعاصرة معتمدة وغامضة ويصعب فهمها أو التعامل مع تراكيبها، فضلاً عن ركافة كثير من نماذجها وتعقيدها. أضف إلى ذلك محدودية موضوعاتها، ووقوفها في الدائرة الرخوة، وإذا عرفنا أن المسألة امتدت إلى كتابتها باللهجة الدارجة أدركنا مدى ما ينتظر

■ ليس لقصيدة النثر جمهور كبير، وليس لها مرجعية فنية أو نقدية، ولا يمكن أن تعد فناً شعرياً مستقلاً.



البارودي



شوقي



«النص الديني والشعر»

إن إلقاء تهمة الضعف الشعري على شماعه «النص الديني» هروب غير مسوغ من مواجهة الحقيقة، فالنص الديني المقصود هنا، هو القرآن الكريم، وهو المعجزة الخالدة على مر العصور، وقد عرف العرب قيمته البلاغية وأدركوا إعجازه الفريد، ولم يستطيعوا تقليده أو تقليد بعض منه، ومازال حتى اليوم، وإلى يوم القيامة يمثل نموذجا للبلاغة والتعبير لا يدركه أحد، وإن كان الجميع، شعراء ونثرين، يستلهمونه ويجدون فيه منبعاً ثرا لتقوية شعرهم ونثرهم.

إن الموسيقى ثقافة سمعية في الأساس، لدينا ولدى غيرنا من الأمم، ولا أعتقد أن دق الطبول أو عزف الآلات يفترض ثقافة بصرية قبل الثقافة السمعية. الشعر فن العربية الأول، وهو يخاطب الأذن أولاً، لأن ذلك من نسيج التكوين العربي، فيطرب المستمع للكلام الموزون المقفى، أما الكلام المنثور فيمثل فنونا أخرى قد تحتاج إلى بعض الوسائط الموسيقية التي تساعد على ترسيخها وزيادة تأثيرها مثل: السجع والجناس والطباق والمقابلة والتوازن والترادف... وغيرها.

إن النص الديني يدفع الموهوب شعرياً إلى الأمام، نحو الإبداع الجميل والتعبير الراقي، ويحميه من النثرية والثرثرة.

والبناء الهش.. والمشكلة الحقيقية تكمن في الانبهار السلبي بما لدى الآخر، دون فحص أو تمحيص، كما أن الثقافة السمعية أو البصرية لا علاقة لها مباشرة بالموضوع. قصيدة النثر إذا ليست نتاجاً للثقافة البصرية، ولن تقود إلى هذه الثقافة، فهي تفتقد المرجعية، والنظام الأساسي. ومقولة إنها تصنع قانونها، بعيدة عن الصواب، لأن ذلك يخضعها لاجتهادات فردية تتعدد بتعدد كتابها، ونقادها أيضاً، ولا يوجد في حقيقة الأمر نوع أدبي بلا ملامح مشتركة أو مواصفات أساسية يرجع إليها القراء والنقاد على حد سواء للاستعانة بها في الفهم والتقويم.

إن قصيدة النثر حين تصبح بديلاً للشعراء فإنها تمنح حق ادعاء الشاعرية لكل من يكتبون، وأعتقد أن ذلك يقود إلى كارثة للنثر قبل الشعر. إذ من حق كل من يخط بضع كلمات أن يصبح شاعراً مهما كان الذي يكتبه هامشياً أو سخيلاً أو لا قيمة له على الإطلاق.

إننا مع الدعوة إلى تخليص الشعر من النثرية ومن الثرثرة، ولكننا في الوقت نفسه لا نستطيع أن نلغي الموسيقى لأنها عنصر أصيل وضروري في الشعر، أو كما قال الراجعي عن الشعر: إنه صنعة موسيقية دقيقة.

«شهادات في قصيدة النثر»

يبقى أن نستأنس ببعض الآراء التي تناولت قصيدة النثر وحكمت عليها من خلال خبرة شعرية أو نقدية. وننقل هنا ما قاله أحمد عبد المعطي حجازي، وهو شاعر حدائش يتعاطف مع الحركات الحدائش في الفكر والأدب، ونص كلامه الذي يمسك بالعصا من الوسط:

«إنني واحد من كثيرين في العالم لا يمكنهم أن يتذوقوا الشعر تذوقاً صحيحاً إذا كان خالياً من الوزن، لكن هؤلاء جميعاً - وأنا منهم - لا يستطيعون في الوقت ذاته أن ينكروا وجود شكل شعري يسمى قصيدة النثر»^(١٥).

ويقول إبراهيم حمادة عن قصيدة النثر: إنها دخلت إلى طريق مسدود، مما سيعرض مسيرتها للتبئيس والانغلاق، أو التسبب والانسياب الذي يسرع بها إلى حدود النثر الصحفي المبقع بالمحسنات اللفظية. وعندئذ تنهار مزاعمها الغامضة، الخاصة بوجود إيقاعات باطنية تغني عن الأطر الخيلية والتماثلات الموسيقية.

ويضيف إبراهيم حمادة موضحاً عيوبها وقصورها: «أما أبرز عيوبها - في رأيي - فهو محدودية الموضوعات التي يمكن أن تتناولها، فهي لا تكاد تخرج عن حدود التهويمات، والانجذابات الخيلية

والسيريالية، مستعينة على ذلك بالبرقشات اللغوية، والاستعارات المدهشة. ويتجلى عجزها الكامل، لو تعرضت للتعبير عن الحركة النفسية والدرامية والملحمية، بما تتضمنه من تحليلات ظاهرية وباطنية للشخصيات وأفعالها، إذ لا تستطيع ذلك التناول إلا وهي نثر عادي، وعندئذ ينتفي اسمها تماما من مجالها الحالي. أما القصيدة المبنية عروضا - سواء كانت عمودية أو غير عمودية - فهي لا تزال القادرة على استكناه الإحساس الدرامي والملحمي، والتعبير عنه»^(١٦).

وإذا عرفنا أن الأدب الإسلامي لا يقف من الشكل - أي شكل - موقفا رافضا لذاته، فإنه في الوقت ذاته يسعى كي يكون الشكل متكاملا مع المضمون لخدمة غاية نبيلة إنسانيا وفتيا، وأقول إنسانيا، لأن الإسلام بأدبه ومعطياته يتوجه إلى الإنسان أيا كان ليقدم له ما ينفعه ويمتعه، ويرفعه روحيا وماديا..

ومن ثم، فإن «اختيار» قصيدة النثر بصورتها الراهنة لتكون نوعا أدبيا بديلا عن الشعر

■ اختيار قصيدة النثر بصورتها الراهنة لتكون نوعا أدبيا بديلا عن الشعر الحقيقي القائم على الموسيقى، والمميز للهوية العربية الإسلامية، اختيار مرفوض وغير مقبول.



طه حسين



مصطفى صادق الرافعي

«موقف الأدب الإسلامي

في تصوري أن مهمة الأدب الإسلامي، وهي مهمة تجديدية بالدرجة الأولى، تتمثل في استعادة القوة والهيمنة للشكل الشعري الموروث الذي يعتمد العروض والقافية، أو يحافظ على موسيقى الشعر بدرجة ما (الشعر الحر أو التفعيلي)، من خلال النماذج الجيدة والتميزة، لأنه بذلك يسعى إلى ترقية الذوق العربي، وانتشاله من محاولات الهبوط به إلى درك الفجاجة والفوضى التي تصنعها الأشكال الغريبة ذات الأفق المحدود (قصيدة النثر - قصيدة البياض - عبر النوعية) فهذه الأشكال - في رأبي - تعبر عن تواضع الموهبة وفقرة الخبرة الفنية.



الإطار شعرا منشورا أو نثرا شعريا، مع أنه يفيض بالشعرية وعناصرها المختلفة، عدا الوزن والقافية، لأنه يرى أن الشعر صناعة موسيقية دقيقة، وفي هذا الرأي ما فيه من دلالة وأبعاد، تقطع الطريق على غير المهوبين وفقراء الخبرة والحرفة الفنية.

قد يقول قائل : هل معنى ذلك أن قصيدة النثر لا تدخل في إطار الأدب الإسلامي؟ والجواب سهل للغاية: فلنتفق أولا أنه لا توجد قصيدة في النثر، ولا نثر في الشعر. كل منهما جنس له خصائصه ومميزاته، والخلط بينهما يصنع شكلا هجيناً.. إذا أراد كاتب أو أديب إسلامي أن يكتف نثره ويشحنه بطاقات من

المجاز والتصوير والتناغم اللفظي، فليفعل، وليطلق عليه مصطلحا آخر غير مصطلح الشعر.. ليكن خاطرة أو نثيرة، أو دفقة شعورية أو غير ذلك.

قد يقول بعضهم: إن الحديقة الأدبية تتسع للعديد من الأشجار ذات الألوان والزهور والروائح المختلفة، فلتتسع لما يسمى قصيدة النثر.

وهذا الكلام بعضه صحيح والبعض الآخر يحتاج إلى بعض التدقيق، ذلك أن التقاليد الأدبية في معظم الآداب العالمية، إن لم تكن كلها، لها احترامها ومكانتها، والخروج عليها يمثل كسرا لطبيعتها وتميزها، مما يعني ذوبان النوع الأدبي في غيره..

ويفقده شخصيته الأدبية. لو أننا جعلنا النثر شعرا دون وزن أو قافية سيأتي من يتهم القرآن الكريم أنه شعر، وهنا تحدث الطامة الكبرى، حيث تهتز العقيدة وتختلط المفاهيم، ويجد خصوم الإسلام فرصة ذهبية للطعن على الوحي والدين جميعاً.. ومن ثم، فإن الوقوف ضد هذه التسمية «قصيدة النثر» يأتي من باب سد الذرائع، وإغلاق الباب أمام خطر داهم.

ويبقى في كل الأحوال، أن تمنح قضية الشكل في الأدب الإسلامي مزيداً من الاهتمام والمناقشة والتحليل، لأنها بصورة ما مناط تميزه والحكم عليه ■

الهوامش:

- (١) محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، ط٦، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٣م، ص ٢٢٦.
- (٢) نجيب الكيلاني، الإسلامية والمذاهب الأدبية، ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م، ص ٧٨-٧٩، ويلاحظ أن نجيب الكيلاني، قد اهتم بفن القصة، وأفرد له كتابين أحدهما بعنوان القصة الإسلامية، والثاني سماه: تجرّيتي في القصة، وفيهما يسعى لتأصيل الشكل القصصي من خلال القرآن الكريم وتجربته الشخصية في كتابة القصة والرواية.
- (٣) أحمد محمد علي، الأدب الإسلامي ضرورة، رابطة الجامعات الإسلامية، القاهرة، ١٤١١هـ = ١٩٩١م، ص ١٠٩ وما بعدها.
- (٤) عبد الباسط بدر، مذاهب الأدب الغربي، شركة الشعاع، الكويت، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.
- (٥) محمد صالح الشنطي، في الأدب الإسلامي، قضايا وفنونه ونماذج منه، دار الأندلس، حائل (السعودية)، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م، ص ٧٤.
- (٦) إبراهيم حمادة، مجلة القاهرة، ع ٧٣، ١٩ ذي القعدة ١٤٠٧هـ = ١٥ يوليو ١٩٨٧، الافتتاحية، وانظر كتابي «الورد والهالوك»، ط٢، دار الاعتصام، القاهرة، ص ٢١٢.
- (٧) عمر الدسوقي، في الأدب الحديث، ط٧، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٣، ص ٢٣٠/٢.
- (٨) السابق، ٢٣٠-٢٣١/٢، مقتطف، يناير ١٩٢٦، ص ٣١.
- (٩) سورة الحاقة: الآية ٤١.
- (١٠) أحمد زرزور، الثقافة الجديدة، سبتمبر ١٩٩٢، ص ٧٦.
- (١١) حلمي سالم، قصيدة النثر، شعرية الشعر، الملحق الأدبي، جريدة المساء، ١٩٩٣/١/٢٧.
- (١٢) محمد بدوي، الكرمل، ع ٤/١٩٨٤، ص ٣٠٣.
- (١٣) محمد عيد إبراهيم، الثقافة الجديدة، سبتمبر ١٩٩٢، ص ٧٦.
- (١٤) أحمد آدم، جريدة القدس العربي، لندن، ٢٠٠٢/٧/٢٤، (في حوار مع الجريدة).
- (١٥) الأهرام، ١٩٩١/٢/١٩.
- (١٦) إبراهيم حمادة، مجلة القاهرة، العدد ٧٣، الافتتاحية، وانظر في العدد نفسه ص ٢٧، رأيا لعبد القادر القط يقول فيه: «إذا كنت قادراً أن تقول شعراً موزوناً دون أن تقع في السطحية أو التكلف أو الصنعة، فما الداعي أن تقصد قصداً أو عمداً إلى التحلل من الوزن؟.....»